قصيدة قطع الصبح على الليل السفر

الشاعر: محمد إقبال

#العصر الحديث #الهند

قطع الصبح على الليل السفر
فهمى دمعي على خد الزهر
غسل الدمع سبات النرجس
وصحا العشب بمسرى نفسي
جرب الزارع قولي محصدا
مصرعا ألقى وسيفا حصدا
إنه حب دموعي زرعا
نسج الروض وأناتي مما
ذرة قد نالت الشمس أنا
كم صباح في فؤادي كمنا
طينتي من جام جم أنور
من غيوب الكون عندي خبر
صيد أفكاري ظباء لم ترم
لم تسيب بعد من قيد العدم
زان بستاني عشب ما ظهر
وجنيت الورد في جوف الشجر
محفل الشادين مني يرجف
في وتار الكون كفي تعزف
صامت في رباب الفطرة
ما وعي عني جليسني نغمتي

إنني شمس قريب مولدي
حبكا في فلك لم أعهد
لم يرع ضوئي سرب الزهر
أو يرجرج زئبقي في البصر
ما رأت رقص ضيائي الأبحر
أو كسا الأطواد ثوبي الأحمر
عين هذا الكون لي لا تعهد
أنا من خوف طلوع أرعد
مزق الظلمة فجري فسفر
وبدا طل جديد في الزهر
إنني أرقب صبحا معلما
حبذا من حول ناري زمزما
أنا لحن دون ضرب صعدا
أنا صوت شاعري يأتي غدا
دون عصري كل سر قد خفي
ما بهذي السوق يشرى يوسفي
أنا في يأس من الصحب القديم
مشعل طورى ليغشاه كليم
بحر صحبي قطرة لا تزخر
قطرتي كاليم فيه صرصر
من وجود غير هذا لي غناء
ولركب غير هذا لي حداء
كم تجلى شاعر بعد الحمام
يوقظ الأعين حينا وينام
وجهه من ظلمة الموت سفر

ونما من قبره مثل الزهر
كم بهذا السهب مرت قافلة
مثل سير النوق رهوا سابله
غير أني عاشق ديني النواح
ثورة المحشر في هذا الصياح
أنا لحن كل عنه الوتر
لا أبالي أن عودي يكسر
أبعد القطرة عن سيل طما
وانظرن اليم منه التطما
لا تعي موجي هذي الأنهر
لا تعي لجي إلا أبحر
ليس أهلا لسحابي زهرة
ليس فيها لنمو روضة
كم بروق نائمات في الجنان
ضاقت البيد لديها والقنان
إن تكن صحراء فاطلب لجتي
أو تكن سيناء فاقتبس شعلتي
قد حبيت الورد من عين الحياه
ووهبت السر من عين الحياه
أشعل الذرة لحى الثائر
رفرفت فهي يراع طائر
مانثا ذا السر غيري في البشر
لم يثقب ناظم مثلي الدرر
أفشت الأفلاك لي السر القديم
كيف يخفى السر من دون النديم

أيها الساقي من الراح اسقني
وأس في قلبي جراح الزمن
شعلة الماء التي من زمزم
قيصر يضو لها كالخدم
مقلة المبصر منها أبصر
وشعاب الفكر منها أنور
تجعل الريشة طودا قاهرا
وترى الثعلب ليثا زائرا
هي تسمو للثريا بالثرى
وتعى القطرة منها أبحرا
تجعل الصمت ضجيج المحشر
تجعل الدراج حتف الأصقر
املأ الكأس بصفو نير
نور الفكر بنور القمر
لأقود الركب شطر المنزل
باعثا شوق السرى في المقل
راثيا وجه جديد الأمل
ساعيا إثر جديد العمل
فأرى إنسان عين العارفين
وأرى لحنا بأذن العالمين
معليا قدر الكلام المبدع
مازجا فيه غزير الأدمع
قارئا من فيض ذا الشيخ العظيم
كتبا تضمر أسرار العلوم
قلبه من شعلة الوجد استعر

وأنا في نفس منه شرر
قد رمى الشمع فراشي باللهب
وغزت جامى الحميا فالتهب
صير الرومي طيني جوهرا
من غباري شاد كونا آخرا
ذرة تصعد من صحرائها
لتنال الشمس في عليائها
إنني في لجه موج جرى
لأصيب الدر فيه نيرا
قد عرتني نشوة من كاسه
وحياة نلت من أنفاسه
ليلة رانت على قلبي الشجون
وسرت يارب في الليل السكون
من فراغ الكأس قلبي نائح
من صروف الدهر شاك صائح
أرهق النسيار فكري فثوى
هيض سقطاه وللنوم هوى
لاح شيخ الحق ذك الألمعي
من حكى قرآننا بالفهاوي
قال يا ولهان بين العاشقين
من شراب العشق فاجرع كل حين
شق في العين حجاب البصر
وأثر في القلب هول المحشر
واجعلن الضحك ينبوع البكاء
واملأ العين دموعا من دماء

أنت كالكم صموت أبكم
انشرن كالورد ريحا تفغم
صعدن من كل عضو كالجرس
نوحك الصامت في كل نفس
أنت نار فأضيء للعالمين
بلهيب منك أذك الآخرين
سر شيخ الحان أعلن في هياج
كن مداما واتخذ ثوب الزجاج
وكن الفهر لمرآة الفكر
واصدعن جهرا وأعلن ما استتر
حدثن كالناي عن غاب نأى
حدثن قيسا عن الحي انتأى
جدد النوح بلحن محدث
ومن الآهات في الحفل انفث
كل حي فيه روحا أحكم
وزد الحي حياة من قم
وهلم اسلك طريقا أنفا
وأنف عن قلبك ما قد سلفا
جرس الركب تنبه لاتنم
واعرف اللذة في هذا النغم
صرت نارا في ثيابي تسعر
صرت كالناي هياجا أضمر
ثرت من أوتار نفسي نغما
شدت من حسن بياني إرما
كان كوني صورة لم تكمل

كان سقطا مهملا في الهمل
مبرد العشق براني رجلا
كيف هذا الكون والكم جلا
فرأت عيناي نبض الأنجم
وبعرق البدر دورات الدم
وبكيت الناس جنح الظلم
فبدا سر حياة الأمم
مصنع الكون أراني ما حواه
فتجلى سر تقويم الحياه
أنا من في ظلمة الليل أنار
في طريق الملة البيضا غبار
صوتها في الشرق والغرب علا
لحنها في القلب نارا أشعلا
ذرة ألقت وشمسا حصدت
ألف رومي وعطار جنت
آهتي الحرى سمت فوق العنان
عترتي النار وإن كنت الدخان
قلمي في مسرح الفكر علا
فجلا الأسرار في السبع العلى
ما قصدت الشعر في هذا النغم
نحت أصنام وتعظيم صنم
أنا هندي شآني الفارسي
وهلال أنا ذو جام خلي
لا تؤمل عندنا حسن البيان
لحن خنسار به أو أصفهان

ذاكم الهندي يحكى السكرا
لكن الدرى أحلى مخبرا
بسحر الفكر تجليه وراع
فإذا لي شجر الطور يراع
قد علا فكري وهذا الفارسي
لامم الفطرة في فكري العلي